

شرح خطبة الرضا علیه السلام فی التوحید - سید نعمت الله الجزائری / عبدالحسین طالعی
فصلنامه تخصصی مطالعات قرآن و حدیث سفینه
سال دهم، شماره ۴۰ «ویژه پژوهش های رضوی»، پاییز ۱۳۹۲، ص ۷۵ - ۹۶

شرح خطبة الرضا علیه السلام فی التوحید

سید نعمت الله الجزائری
* تحقیق: عبدالحسین طالعی

چکیده: این رساله، شرح سید نعمت الله جزائری (متوفی ۱۱۱۲ ه.ق.) بر خطبه توحیدیه امام رضا علیه السلام است. متن این خطبه را بزرگانی مانند شیخ صدوق، مفید، طوسی، طبرسی، مجلسی و دیگران در آثار خود آورده‌اند. همچنین شماری از بزرگان به شرح آن پرداخته‌اند، به صورت رساله مستقل یا ضمن آثار خود، از جمله: محمد باقر مجلسی، سید محمد باقر طباطبائی یزدی، علی اکبر نهادنی. در اینجا شرح سید نعمت الله جزائری به نقل از کتاب چاپ نشده‌اش *لوامع الانوار فی شرح عيون الاخبار* نقل شده که در شرح *عيون اخبار الرضا علیه السلام* تألف شیخ صدوق نوشته است. شرح این خطبه برای نخستین بار به چاپ می‌رسد.

کلیدواژه‌ها: امام رضا علیه السلام - خطبه‌ها / خطبه توحیدیه رضویه / توحید - خطبه‌ها / *عيون اخبار الرضا علیه السلام* (کتاب) / *لوامع الانوار فی شرح عيون الاخبار* (کتاب) / جزائری، سید نعمت الله.

*. عضو هیئت علمی دانشگاه قم و دانشجوی دکتری دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم و تحقیقات.

Taleie20@gmail.com

۱- خطبه جامع توحیدیه رضویه، یکی از مهمترین نصوص و اسناد شیعی در تبیین توحید است. این خطبه را امام رضا علیه السلام در مجلس مأمون ایراد فرمود، و محدثان بزرگ

و شاخص شیعه تمام یا جملاتی از آن را در آثار خود روایت کرده‌اند، از جمله:

- شیخ صدوق (م ۳۸۱) در: *التوحید* (باب ۲، حدیث ۲)؛ *عيون اخبار الرضا علیه السلام* (ج ۱، باب ۱۱، ح ۵۱).

- شیخ مفید (م ۴۱۳) در: *الاماکن* (مجلس ۳۰ ح ۴).

- شیخ طوسی (م ۴۶۰) در: *الاماکن* (جزء اول، ح ۲۸).

- طبرسی (سده ۶) در: *الاحتجاج* (باب امام رضا علیه السلام).

- سدید الدین حَلَّی در: *العدد القویة* (ص ۲۹۴ ح ۲۵).

- دیلمی در: *اعلام الدین* (ص ۶۹).

- مجلسی در: *بحار الانوار* (ج ۴، باب جوامع التوحید، ح ۳)؛ *الاربعین* (ح ۱۳).

- حرّ عاملی (م ۱۱۰۴) در: *الفصول المهمة* (ج ۱ ص ۱۵۵ و ۲۰۲ ح ۷۶ و ۱۶۲).

- حوزی در: *نور التقليد* (ج ۱ ص ۳۹، ج ۲ ص ۶۶ و ۲۹۳).

- بحرانی در: *البرهان* (ج ۴ ص ۲۳۶).

- عطاردی (معاصر) در: *مسند الامام الرضا علیه السلام* (كتاب التوحيد، ح ۵۸)

۲- چندین دانشور شیعی به شرح آن همت گماردند، به عنوان کتاب مستقل یا ضمن آثار خود، به عربی یا فارسی، که پاره‌ای از آنها چاپ و نشر شده و بعضی مخطوط باقی مانده است. از آن جمله است:

- شرح محمد باقر مجلسی (م ۱۱۱۰) در: *الاربعین* (ص ۹۵-۷۶)، *بحار الانوار* (ج ۴ ص ۲۳۱-۲۴۷). وی همین توضیحات را با بسط بیشتر و ترجمة عبارات خطبه به صورت



رساله‌ای مستقل به فارسی نگاشته که با تحقیق نگارنده این سطور در دست انتشار است.

- سید محمد باقر طباطبائی یزدی(م ۱۲۹۸) که شرح او "قیروزجات طوسيه در شرح خطبه رضويه" نام دارد. اين رساله را دکتر جعفر زلکي به عنوان پایان نامه دوره دکтри تصحیح و تحقیق کرده و آماده نشر است.

- شیخ هادی تهرانی، در خاتمه کتابش *ُفریدة العرائد*

- شیخ محمد حسین خراسانی (م ۱۴۰۶) که کتاب "دائرة المعارف الإسلامية في شرح الخطبة الرضوية" را نوشته است (تهران: کتابفروشی مصطفوی، ۱۳۶۲ شمسی).

- سید حسن مصطفوی، که کتاب معرفة الله را نوشته است (مشهد: آستان قدس رضوی، ۱۴۰۴ قمری)

- علی اکبر نهادنی (م ۱۳۶۶ قمری) - ضمن کتاب انوار الموهاب، باب امام رضا علیه السلام، تحت عنوان "تحفة المؤمن السعيد و خطبة الرضا علیه السلام فی التوحید". (این کتاب، اخیراً با تحقیق و تصحیح، در قم منتشر شده است)

- لسان الملک سپهر - ضمن ناسخ *التواریخ*، مجلد امام رضا علیه السلام (چاپ حروفی، اسلامیه)، ج ۱۱ ص ۲۶۸-۳۰۸

۳- شرحی که در این گفتار ارائه می‌شود، شرح محدث بزرگوار سید نعمه الله جزائری (م ۱۱۱۲) عالم بزرگ سده دوازدهم است که بر بیشتر کتابهای حدیثی شرح یا حواشی مفصل نوشته است. شرح حال مبسوط او را در کتاب "تابعه فقه و حدیث" نوشته نواده دانشمند او مرحوم سید محمد جزایری باید یافت. در همان کتاب، کارنامه قلمی پر برگ و بار او ارائه شده است.

محدث جزایری ضمن شرحی که بر کتاب عيون اخبار الرضا علیه السلام (تألیف صدق) نگاشته و "لوامع الانوار فی شرح عيون الاخبار" نامیده، شرحی مفید بر خطبه رضویه

آورده است. از آنجا که این کتاب تاکنون منتشر نشده، در این فرصت، شرح جزایری بر خطبه توحیدیه رضویه برای نخستین بار منتشر می‌شود.

نسخه مورد استفاده، نسخه‌ای است که در مرکز احیای میراث اسلامی قم نگاهداری می‌شود و عکسی از آن در کتابخانه تخصصی امام رضا^ع در قم موجود است که با استفاده از آن نسخه عکسی، به انتشار رساله اقدام شد.

متن رساله نیز از عیون اخبار الرضا^ع (نسخه موجود در نرم افزار جامع الاحادیث) نقل شد. امید است تمام کسانی که به نحوی - مستقیم یا غیر مستقیم - در مقدمات این رساله سهیم بوده‌اند، مشمول دعای خیر حضرت بقیة الله ارواحنا فداه قرار گیرند و در ثواب نشر این وجیزه سهیم باشند. آمين

المتن: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْكَاتِبُ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ زِيَادِ الْقُزْمِيِّ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي زِيَادِ الْجُذِيِّ صَاحِبِ الصَّلَاةِ بِجُدْدَةِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرَّضَا عَيْتَكُلُمُ بِهِذَا الْكَلَامِ عَنْدَ الْمَأْمُونِ فِي التَّوْحِيدِ قَالَ أَبْنُ أَبِي زِيَادٍ وَرَوَاهُ لِي وَأَمْلَى أَيْضًا أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ مَوْلَى لَهُمْ وَخَالَ لِبَعْضِهِمْ عَنِ الْفَاسِمِ بْنِ أَبِي يَحْيَى الْعَلَوِيِّ أَنَّ الْمَأْمُونَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ الرَّضَا جَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَعْمِلَ الرَّضَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي فَحَسِدَهُ بَنُو هَاشِمٍ وَقَالُوا أَتُؤْلِي رَجُلًا جَاهِلًا لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ بِتَدْبِيرِ الْخَلَافَةِ فَأَعْبَثُ إِلَيْهِ رَجُلًا يَأْتِنَا فَتَرَى مِنْ جَهْلِهِ مَا تَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَيْهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ بُنُو هَاشِمٍ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَصْعُدْ الْمِنْبَرَ وَأَنصِبْ لَنَا عَلَمًا نَعْبُدُ اللَّهَ عَلَيْهِ الشر: هذه الخطبة من جملة خطب مولانا امير المؤمنین^ع، نقلها الرضی طاب ثراه فی كتاب نهج البلاغة ، و روحاها المفید و المصنف عطر الله مرقدیه‌ما، على ان فصاحة الفاظها و بلاغة معانیها شاهدا عدل على انها من کلامهم^ع و حينئذ فلا يلتفت الى رجال سندها و ان كان فيهم من لم يعرف حاله بالاصطلاح المعروف بين المتأخرین.

و معنی "انصب لنا علما" ای اذکر لنا من صفات الله جل جلاله ما نعرفه بها حتى يكون علما لعبادتنا ایاه.

المتن: فَصَعِدَ عَلَيْهِ الْمِنْبَرَ فَقَدَ مَلِيًّا

الشرح: لعل السبب في ذلك القعود قبل الخطبة اجراء الملك المسمى بروح القدس الفاظها على لسانه عليه السلام . و يجوز ان يكون السبب فيه تعليم الخلق الثاني في الامور او انتظار اجتماع الناس . المتن: لَا يَتَكَلَّمُ مُطْرِقاً؛ ثُمَّ أَنْفَضَ أَنْتَفَاضَةً وَ أَسْتَوَى قَائِمًا وَ حَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَةُهُ.

الشرح: اي اول الواجبات . وقد ذكر المحققون ان لمعرفته تعالى مراتب:
الاولى و هي ادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا.
الثانية ان يصدق بوجوده.

الثالثة ان يترقى الى توحيده و تنزيهه عن الشركاء.
الرابعة مرتبة الاخلاص له.

الخامسة نفي الصفات التي تعتبرها الاذهان له عنه و هي غاية العرفان .
و كل مرتبة من المراتب الأربع مبدأ لما بعدها . و الاولى من المراتب مجبولتان في الفطرة الانسانية . بل في الفطرة الحيوانية ايضاً . و لذا لم يدع الانبياء عليهما مع انهمما لو توقيعا على الدعوة لزمه الدور ، لأن صدقهم مبني على معرفة ان هاهنا صانع للخلق ارسلهم بل الذي دعى اليها الانبياء عليهما هى المرتبة الثالثة و ما بعدها و هي الواردة في كلمة الاخلاص بقوله صلى الله عليه و آله: من قال لا الله الا الله دخل الجنة . ثم لما استعدت اذهانهم لما بعدها من المراتب ، قال عليهما: من قال لا الله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة .

اقول: بهذا التحقيق يندفع التعارض الوارد بين الاخبار . و ذلك أنه ورد في كثير منها أن المعرفة من صنع الله في القلوب و ليس لأحد فيها صنع و ان الله لم يكلفهم حتى اثبتت في قلوبهم معرفته و ان اول الواجبات هو الإقرار بالشهادتين . و حملوا على هذا ما ورد من قوله صلى الله عليه و آله: «كل مولود يولد على الفطرة» اي على معرفة الله سبحانه ، و كذلك قوله عليهما: «من عرف نفسه فقد عرف ربها». و روى ايضا في الاخبار الصحيحة كهذا الخبر و ما بمعناه;
و ان العباد مكلفوون بطلبها و عليه جماهير المتكلمين .

و بيان وجه الجمع ان الاخبار الاولة منزلة على المرتبتين الاولتين المركوزتين في عقول الناس
بل و اليهابين و غيرها . و ما من شيء الا يسبح بحمده و لكن لا نفقه ما يقولون .
واما الاخبار الاخيرة فمحمولة على المراتب الثلاث الاخيرة .

و جُوز بعض شرّاح تهجّج **البلاغة** ان يراد من المعرفة في حديث الكتاب و نحوه المعرفة الكاملة لأنّها العلة الغائية و هي متقدمة في التصور.

المتن: وَ أَصْلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَوْحِيْدُهُ وَ نِسَامُ تَوْحِيْدِ اللَّهِ تَعَالَى نَفْيُ الصَّفَاتِ عَنْهُ
الشرح: فإن قلت: الكتب الإلهية مشحونة بأوصافه وهو **غَيْرُ مَمْتَنِعٍ** قد وصفه،

قلت: يخص بنفي المعانى و الصفات الزايدة كما قاله الاشعرى و نفى الاحوال كما قاله المعتزلى، او يخص بنفي صفات المخلوقين كما يقول المشبهة على ان **كَلَّمَا** يوصف به تعالى من الصفات فإنما هي اعتبارات تحدّثها عقولنا عند مقاييسه ذاته تعالى الى غيرها. و لا يلزم من ذلك تركيب في ذاته تعالى.

المتن: لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَ مَوْصُوفٌ مَخْلُوقٌ

الشرح: لأنّ الصفة محتاجة الى الموصوف للقيام به و الموصوف محتاج الى الصفة في كماله. فلا يكون شيء منهما واجبا و كذا المركب منهما.

المتن: وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّ لَهُ خَالِقًا لَيْسَ بِصِفَةٍ وَ لَا مَوْصُوفٍ، وَ شَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ وَ مَوْصُوفٍ
بِالْأَقْتِرَانِ، وَ شَهَادَةِ الْأَقْتِرَانِ بِالْحَدُوثِ، وَ شَهَادَةِ الْحَدُوثِ بِالْأَمْتَنَاعِ مِنَ الْأَزَلِ الْمُمْتَنِعِ مِنَ الْحَدُوثِ.
فَلَيْسَ اللَّهُ مَنْ عُرِفَ بِالْتَّشْبِيهِ ذَاتَهُ

الشرح: عرف على البناء للمجهول، اي ليس من عرف بالتشبيه ذاته هو الله.

المتن: وَ لَا إِيَاهُ وَحْدَهُ مِنْ اكْتَتْهَهُ

الشرح: اي زعم انه بلغ في المعرفة الى كنه حقيقته، لأنّ الحقيقة مركبة من الجنس و الفصل، فيكون شريكا للممكنتات في التركيب؛ او لأن حصول الكنه في الذهن يستلزم تعدد افراد الواجب، لأن ما يحصل في العقول والاذهان هو الكليات، و الكلى من حيث هو كلى له افراد متعددة، اما في الذهن او في الخارج.

المتن: وَ لَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهُ

الشرح: اي: اثبت له مثلا. و برهانه ان المثل للشيء هو المشارك له، اما في ذاته او في بعض اجزائها او في ——— خارجة عنها. و هو تعالى لا شريك له في ذاته، و الا لاحتاج الى مميز من خارج لا يكون مقتضى ذاته و الا لكان مشتركا غير مميز له بل مقتضى علة اخرى، فيكون واجب الوجود محتاجا في ما يميّزه عن غيره الى غيره. هذا خلف و لا شريك له في بعض الاجزاء و الا لكان مركبا فكان ممكنا هذا خلف، و لا في صفة خارجة عن ذاته اذ ثبت انه لا صفة له وراء ذاته.

و قيل: لا يجوز ان يراد بقوله من مثله انه جعل له شخصا و مثلا، او مثله في ذهنه و جعل الصورة الذهنية مثلا له.

المتن: وَ لَا يَبِهِ صَدَّقَ مِنْ نَهَاءٍ

الشرح: انه اثبت له نهاية و غاية ينتهي اليها.

المتن: وَ لَا حَمَدَ حَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ

الشرح: الصمد: القصد. و ذلك ان الاشارة اما حسية او عقلية. و الاولى مستلزمة للوضع و الهيئة و الشكل و التحيز. و ذلك على واجب الوجود محال.

و اما الثانية فقال بعض المحققين: ان النفس الانسانية مادامت في عالم ————— اذا توجهت الى اقتناص امر معقول من عالم الغيب فلابد ان ————— القوة الخيالية و الوهمية، فإذاً يستحيل أن يشير العقل الإنساني إلى شيء من المعانى الإلهية إلا بمشاركة من الوهم و الخيال و استثنائه حداً و كيفية يكون عليها.

لكن قد علمت تنزهه تعالى عن الكيفيات و الصفات و الحدود و الهيئات. فكان المثير اليه المدعى لإصابة حقيقته قاصدا لواجب الوجود.

المتن: وَ لَا إِيَاهُ عَنِّي مَنْ شَبَهَهُ وَ لَأَلَهُ تَذَلَّلُ مِنْ بَعْضِهِ

الشرح: و لا له تذلل» اي: تعبد و اظهر العبودية.

المتن: وَ لَا إِيَاهُ أَرَادَ مَنْ تَوَهَّمَهُ

الشرح: اي تخيل له في نفسه و وهمه صورة و شكلا، او المراد انه عبده و عرفه بمجرد التوهم من غير جزم بوجوده.

المتن: كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنَوعٌ

الشرح: شروع في البرهان على ذلك.

قال الفاضل المعتزلي ابن ابي الحديد: هذا الكلام يجب ان يتأنّى و يحمل على ان كل معرف بالمشاهدة و الحسن فهو مصنوع. و ذلك لأنّ الباري سبحانه معرف من طريقين: احدهما من افعاله و الآخر بنفسه، و هي طريقة الحكماء الذين بحثوا في الوجود من حيث هو وجود. فلعلوا انه لا بد من موجود واجب الوجود فلم يستدلّوا عليه بأفعاله، بل اخرج لهم البحث في الوجود انه لا بد من ذات يستحيل عدمها من حيث هي هي.

المتن: وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ

الشرح: لأنَّ القائم بغيره محتاج إلى الغير، فكان معلولاً له و لما يقيمه فيه.

المتن: يُصْنَعُ اللَّهُ يُسْتَدَلُ عَلَيْهِ وَ بِالْعُقُولِ تُعْتَدُ مَعْرِفَتُهُ وَ بِالْفِطْرَةِ تُبَيَّنُ حِجْتُهُ

الشرح: أى بما فطّرهم عليه من توحيد و معرفته ثبتت حجته عليهم

المتن: خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُمْ

الشرح: يعني أنَّ خلقه للعبد الدال على احتياجهم و عجزهم هو الذي حجبهم عن الإطلاع على اسرار ملوكه و سرائق جبروته. و هذا الحجاب يتغافل رقة و غلظة، فاحد الطرفين، بل ران على قلوبهم و ختم الله على قلوبهم.

و الطرف الآخر: لو كشف الغطاء لما ازدلت يقينا.

و بين الطرفين بُعد الخافقين.

وفى كتاب التوحيد: رفع الحجاب. فيكون خلق على صيغة المصدر. و هو أظهر.

المتن: وَ مُبَايِنَتُهُ إِيَاهُمْ وَ مُفَارِقَتُهُ أَيْنِتُهُمْ

الشرح: أى: لما بين خلقه فى جميع الصفات، فارق امكنتهم فلا يتصف بما كان مثلهم. لأنَّه لو كان صاحب اين، لم يكن مبانيا لهم.

المتن: وَ ابْتَداَوْهُ إِيَاهُمْ دَلِيلُهُمْ عَلَى أَنْ لَا ابْتِدَاءَ لَهُ، لِعَجْزٍ كُلَّ مُبْتَدَأٍ عَنِ ابْتِدَاءِ غَيْرِهِ وَ أَدَوْهُ إِيَاهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا أَدَاءٌ فِيهِ

الشرح: أى: جعلهم ذوى ادوات و اعضاء يحتاجون اليها دليل على انه ليس فيه شيء منها و الا

لكان محتاجا اليها و هو الغنى المطلق؛

و لأنَّها مستلزمة للتراكيب، أو لأنَّ الأدوات تشهد بفacaة اهلها الى موجd لكون المركب محتاجا.

المتن: لِشَهَادَةِ الْأَدَوَاتِ بِفَاقَةِ الْمَادِينِ [الْمَتَادِينَ] فَأَسْمَاؤُهُ تَعَبِّيرٌ

الشرح: أى يعبر بها عنه و دعوه خلقه بها الا أنها عين ذاته كما زعمه الأشعري.

المتن: وَ أَفْعَالُهُ تَفْهِيمٌ

الشرح: يفهم الخلق ليستدلوا بها عليه.

المتن: وَ ذَاتُهُ حَقِيقَةٌ

الشرح: من حق. اذا ثبتت اى ثابتة لا تزول. و منه الحقيقة المقابلة للمجاز. و ورد فى اللغة: الحقيق بمعنى المكنون لأنَّها مكونة و مصونة عن تلوث الخواطر. و ورد الحقيق بمعنى الكامل لأنَّها الكاملة على الإطلاق.

المن: وَ كَهْهَ تَفَرِّقُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ

الشرح: لعل معناه أن حقيقته و عدم الإطلاع عليها للعقل و الأوهام فارق بينه و بين خلقه لأن حقيقهم معلومة بالحدود .

المن: وَ غَيْوَهُ تَحْدِيدٌ لِمَا سِواهُ

الشرح: غيره، مصدر بمعنى: المغایرة؛ اي: كونه مغايرا له، تحديد له. وكل من سواه مغاير له بالكتنه؛ او: يكون التحديد بمعنى التعريف، كقوله تعالى: الله «الذى ليس كمثله شيء». و يجوز أن يكون التحديد بمعنى الحد الحاجز بين الشيئين. و حاصله أن مغايরته لما سواه هو الحاجز بينه وبينها. فلا تشاركه بالذات و لا بالصفات و لا بالأفعال.

المن: فَقَدْ جَهَلَ اللَّهُ مَنْ اسْتَوْصَفَهُ

الشرح: الفاء للتفرير جزء لشرط محفوظ اي: إذا تحقق ما تقدم من عدم الإطلاع على ذاته و صفاتيه، فمن ثبت له صفة أو طلب استثنائها و كيفيتها فقد جهلها.

المن: وَ قَدْ تَعَدَّاهُ مَنْ اسْتَمْثَلَهُ

الشرح: اي: طلب له مثلا أو مثلا. و في التوحيد و بعض نسخ هذا الكتاب: «من اشتمله»، اي: أحاط به.

المن: وَ قَدْ أَخْطَأَهُ مَنْ اكْتَنَهُ وَ مَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ شَبَهَهُ

الشرح: لأن كيف يسأل بها عن كيفيات الأجسام فيقال كيف زيدا صحيحا أم سقيما.

المن: وَ مَنْ قَالَ لِمَ فَقَدْ عَلَّهُ

الشرح: و من قال لم فقد علل. و ذلك لأن لم انما يطلب بها تحصيل العلل للمعلومات، لم وجد؟ و لم كان قادرا و عالما؟ كما يقال ذلك في غيره من الموجودات.

المن: وَ مَنْ قَالَ مَتَى فَقَدْ وَقَتَهُ

الشرح: اي متى كان موجودا؟

المن: وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَنَهُ وَ مَنْ قَالَ إِلَى مَ فَقَدْ نَهَاهُ وَ مَنْ قَالَ حَتَّى مَ فَقَدْ غَيَاهُ وَ مَنْ غَيَاهُ فَقَدْ غَيَاهُ

الشرح: و هو يحمل معانٍ:

الأول: ان من جعل له غاية فقد غايه، اى اشترك معه في كون كل منهما له غاية، بناء على أن صيغة المفاعة يقتضي المشاركة في أصل الفعل. و إذا شارك أهل الغايات فيها لزم منه ما فرع عليه من المفاسد.

الثاني: ان من قال حتى م؟ فقد تضمن سؤاله هذا ان له غاية. و من جعل له غاية يكون قد غايه اى نهاية الى غايتها و حصره بها. و يؤيده أن في مجالس المفید (ره): «و من غيّاه فقد حواه و من حواه فقد ألحده فيه».

الثالث: معناه ان من قال حتى م؟ فقد جعله معيًا. و من جعله معيًا، يكون قد أثبت له غاية و نهاية. الرابع: ما قال بعض الأعلام من ان من قال حتى م؟ يكون قد جعل لبقائه غاية و نهاية. و من جعل له غاية، فقد غايه اى حكم باشتراكه معهم في الماهية.

الخامس: ان من جعل لبقائه غاية، فقد جعل لذاته ايضاً غايات و حدوداً جسمانية، لأنّه لا مجرد في الوجود سوى الله كما هو أصح القولين.

السادس: ان يعني قوله غايه، أثبتت له علة غائية أو فاعلية تسمى به، لأن المعلول ينتهي إليها. السابع: ان من غيّاه و جعل له غاية، فقد غايه، اى جعل له غاية تميزه عن غيره كالفصل أو الخاصة، لاشتراكه مع غيره في أصل الغاية. فلابد من المايز، و هو المراد من قوله غايه. و يحتمل وجوهاً أخرى أعرضنا عن ذكرها حذراً من التطويل.

المتن: وَ مَنْ غَيَّاهُ فَقَدْ جَزَاهُ وَ مَنْ جَزَاهُ فَقَدْ وَصَفَهُ وَ مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ أَلْحَدَ فِيهِ

الشرح: اى من وصفه بصفات المخلوقين، فقد ألحده فيه. و أصل الإلحاد الميل و العدول عن الشيء، و هو هنا عبارة عن الميل الى الحق و الصواب. و الإلحاد في الله يكون في الذات و الصفات و الأسماء و الآيات.

اما الإلحاد في الذات، فما ذهب إليه الدهرية و المعطلة و من دنكر الصانع، حيث مالوا بالذات المقدسة من الوجود إلى العدم؛ و كالمحنة و المثلنة و من قال بالشريك و الولد و الصاحبة، فإنهم مالوا من الوحدانية إلى إثبات العديل و الشريك؛ و كذلك المجسمة و الغلاة حيث مالوا من البساطة إلى التركيب، و يدخل فيه الأشعار و المعزلة القائلين بالصفات و الأحوال.

و أما الإلحاد في الصفات، فكوصفة بمشية القبائح و خلق الفحشاء و المنكر و القول بالرؤبة.

وَأَمَا الإِلْحَادُ فِي الْأَسْمَاءِ الْمَرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ يَلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سِيَجِزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». فَقَالَ فِي الْكَشَافِ: الْمَرَادُ مِنْهُ مَا كَانُوا يَسْمُونُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَوْلُهُمْ: «يَا أَبَا الْمَكَارِمِ يَا أَبِيسِ الْوَجْهِ يَا سَخِيٍّ؛ فَهُؤُلَاءِ يَعْدِلُونَ مِنَ التَّسْمِيَّةِ بِالْأَسْمَاءِ الْحَسْنَى إِلَى التَّسْمِيَّةِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَمْ يَرِدْ بِهَا تَوْقِيفٌ مِنَ الشَّارِعِ، مَعَ اِيَّاهُمَا الْمَعْنَى الْبَاطِلُ».

وَقِيلَ: إِلْحَادُهُمْ فِي أَسْمَائِهِ تَسْمِيَّتُهُمُ الْأَصْنَامُ الْأَلِهَةُ وَإِشْتَاقَاقُهُمُ الْالَّاتُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَزِيزِ مِنَ الْعَزِيزِ. وَقَالَ فِي «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»: نَزَّهَهُ عَمًا لَا يَصْحَّ فِيهِ مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي هِيَ الإِلْحَادُ فِي أَسْمَائِهِ كَالْجَبْرِ وَالْتَّشْبِيهِ، مُثْلِ أَنْ تَفْسِيرَ الْأَعْلَى بِمَعْنَى الْعَلوِ الَّذِي هُوَ الْقَمَرُ وَالْإِقْتَارُ، لَا بِمَعْنَى الْعَلوِ فِي الْمَكَانِ وَالْإِسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً.

وَأَمَا الإِلْحَادُ فِي الْآيَاتِ، الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ يَلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا».

فَفَسَرَ تَارِةً بِالْإِنْحِرَافِ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَأُخْرَى بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الْمَكَاءِ وَالصَّفِيرِ.

قَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ: الْمَرَادُ مِنَ الْآيَاتِ دَلَالَاتُ التَّوْحِيدِ. وَالْإِلْحَادُ فِيهَا بِالْإِنْحِرَافِ عَنْهَا وَتَرْكُ الْإِسْتِدَالِ بِهَا.

وَمِنْ أَعْظَمِ وَأَقْبَحِ أَنْوَاعِ الإِلْحَادِ فِي الْآيَاتِ، تَفْسِيرُهَا بِالرَّأْيِ وَحْمَلُهَا عَلَى التَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ مُثْلِ تَفْسِيرِ الْأَشْعَرِيَّةِ وَتَأْوِيلِهِمْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَيْ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ حَقِيقَةً، وَكَادُّعَاهُمْ نَزُولَ كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ فِي مدحِ مَنْ شَهَدَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمَنَافِقِينَ.

الْمَتنُ: وَلَا يَتَغَيِّرُ بِتَغْيِيرِ الْمَخْلُوقِ كَمَا لَا يَتَحَدَّدُ بِتَحْدِيدِ الْمَحْدُودِ

الْشَّرْحُ: لَا تَغَيِّرُ بِتَغْيِيرِ الْمَخْلُوقِ، بَلِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ التَّغَيِّيرُ أَنَّمَا هُوَ النَّسْبُ وَالإِضَافَاتُ، مُثَلاً زِيدَ الْمَوْجُودِ يَعْلَمُ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَجُودَهُ؛ فَإِذَا دُمِّرَ تَلْكَ الإِضَافَاتُ مِنَ الْعِلْمِ بِالْوُجُودِ إِلَى الْعِلْمِ بِالْعَدْمِ.

الْمَتنُ: أَحَدُ لَا يَتَأْوِيلُ عَدَدِ

الْشَّرْحُ: يَعْنِي يَكُونُ لَهُ ثَانِيَاً فِي الْأَعْدَادِ، بَلْ وَحْدَتُهُ حَقِيقَةٌ بِسِيَطَةٍ.

الْمَتنُ: ظَاهِرٌ لَا يَتَأْوِيلُ الْمُبَاشَرَةِ

الْشَّرْحُ: بَلْ هُوَ ظَاهِرٌ لِلْعُقُولِ، أَوْ انْظَهُورٌ، بِمَعْنَى غَلَبةِ الْأَشْيَاءِ بِالْإِقْتَدَارِ عَلَيْهَا لَا بِالْمَبَاشَرَةِ لَهَا.

الْمَتنُ: مُتَجَلِّي [مُتَجَلِّ] لَا بِاسْتِقْلَالٍ رُؤْيَةٍ

الْشَّرْحُ: التَّجْلِيُّ: الْانْكَشَافُ. وَالْاسْتِهْلَالُ: الظَّهُورُ.

المتن: **بَاطِنٌ لَا يُمْزَأَيَةٌ**

الشرح: اي: إخفاؤه و استثاره عن الخلق ليس بالمزايلة اى الإنقال بأن يكون قد انتقل إلى مكان خفي، فخفى عليهم. و ورد الباطن كما تقدم بمعنى العالم بالبواطن و الخفايا. و معناه حينئذ انه عالم بالبواطن لا بالإنتقال اليها لعلمها بالقرب منها.

المتن: **مُبَاهِنٌ لَا يُمْسَأَةٌ**

الشرح: بل مباهيته لهم بذاته و صفاته.

المتن: **قَرِيبٌ لَا يُمْدَانَةٌ**

الشرح: بل من حيث العلم و القدرة و الإحاطة.

المتن: **لَطِيفٌ لَا يَتَجَسِّمٌ**

الشرح: اي ليس لطفه بمعنى أن له جسما لطيفا رقيقا، بل هو لطيف لعلمه بالشيء اللطيف، أو لخلقه الخلق اللطيف.

المتن: **مَوْجُودٌ لَا بَعْدَ عَدَمٍ، فَاعِلٌ لَا يَاضْطِرَارٍ**

الشرح: يعني انه فاعل مختار، لا فاعل موجب كما يقول الفلاسفة من أنه في فعله الصادر منه كالشمس في إشراقها و النار في إحراقها.

و في نهج البلاغة: «فاعل لا باضطراب آلة» اي: تحريكها.

المتن: **مُقْدَرٌ لَا يَجْوُلُ فِكْرَةً**

الشرح: اي: لا يحتاج في تقديره و خلقه إلى جولان الفكر و إعمال التروي.

المتن: **مُدَبِّرٌ لَا يَحْرَكَةٌ، مُرْيِدٌ لَا يَهْمَامَةٌ**

الشرح: اي: عزم و اهتمام.

المتن: **شَاءَ لَا يَبْهَمَةٌ**

الشرح: اي: صاحب مشية لا يقصد و عزم حادث.

المتن: **مُدْرِكٌ لَا يَمْخَسَةٌ، سَمِيعٌ لَا يَأْلَهٌ، بَصِيرٌ لَا يَأْدَأٌ. لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَ لَا تَضْمِنُهُ الْأَمَاكِنُ وَ لَا تَأْخُذُهُ السَّنَاتُ وَ لَا تَحْدُدُ الصَّفَاتُ**

الشرح: لعدمها لأنه لا صفات له زائدة على ذاته حتى يحد و يعرف بها. و ما ذكره له من الصفات، فهي اعتبارات عقلية و امور اعتبارية.

المتن: **وَ لَا تُقْيِدُهُ الْأَدَوَاتُ**

الشرح: اي: لا ينتفع بها لعدمها بعدم الحاجة إليها.

المتن: سابق الأوقات كونه

الشرح: الكون: الوجود. وجوده سابق على الزمان المحقق والمقدر.

المتن: و العَدَمُ وُجُودُه

الشرح: هذه الفقرة الشريفة يحتمل معانٍ.

منها ما قاله الفاضل المعذلي ابن أبي الحميد. وهذا لفظه:

فإن قلت ما معناه و هل يسبق وجوده العدم مع كون عدم العالم في الأزل لا أول له؟

قلت: ليس يعني بالعدم ه هنا عدم العالم بل عدم ذاته سبحانه اي غلب وجود ذاته عدمها و سبقة فوجب له وجود يستحيل تطريق العدم إليه أولاً وأبداً بخلاف الممكنات. فإن عدمها سابق بالذات على وجودها وهذا دقيق. انتهى.

و منها ان يكون المراد عدم الممكنات، لأن عدم العالم قبل وجوده كان مستندا إلى عدم الداعي الى ايجاده المستند الى وجوده تعالى فوجوده سبق عدم الممكنات بمرتبتين.

و منها ما قيل ان المراد اعدام الممكنات المقارن لابتداء وجوداتها، فيكون كناية عن أزليته و عدم ابتداء وجوده.

وعلى هذين القولين يكون ردّاً على الفلاسفة القائلين بقدم العالم.

و منها أن العدم له حظ من الشيئية، وقد ورد إطلاقه في القرآن و الحديث. قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا انقاوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم».

و روى الكشى بإسناده إلى علي بن يونس قال: قلت للرضا عليه السلام: ان زراة و هشام بن الحكم اختلفوا. فقال زراة: النفي ليس بشيء وليس بمخلوق. وقال هشام: ان النفي شيء مخلوق. فقال لي: قل في هذا بقول هشام ولا تقل بقول زراة.

إذا صح إطلاق الشيء عليه و كان مخلوقاً، كان سبق الوجود عليه ظاهر و يكون المراد بمخلوقيته انه مقدر في العلم القديم. وقد حققنا هذا المعنى في شرحنا على كتاب التوحيد.

و منها ما قاله بعض المحققين من انه تعالى مخالف لسائر الموجودات الممكنة فإنها محدثة فيكون عدمها سابقاً على وجودها بخلاف الموجود الأول جلّ عظمته فإنه لما كان واجب الوجود لذاته كان هو موجوداً فكان لحقه العدم له محلاً و كان وجوده سابقاً على العدم المعتبر لغيره من الممكنات.

المتن: وَ الْإِبْدَاءَ أَرْلُهُ

الشرح: اى: سبق وجوده الأزلي كل ابتداء فليس لوجوده ابتداء.

و قيل: المراد ان ازليته سبق بالعلية كل ابتداء.

المتن: يَتَشَعَّيْرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشَعَرَ لَهُ

الشرح: المشاعر: الحواس الباطنة و هي آلات الإدراك. و منه أخذ الشعور اى العلم و الإدراك. و قد ذكر في توجيهه وجوبه:

الأول: ما ذكره المحقق الريانى الشيخ ميثم البحارنى حيث قال: لو كان له مشاعر، لكن وجودها إما من غيره و هو محال؛ أما اولا فلأنه مشعر المشاعر، واما ثانيا فلأنه يكون محتاجاً في كماله إلى غيره فهو ناقص بذاته و هذا محال.

و إما منه، و هو ايضا محال، لأنها إن كانت من كمال الوهبيته كان موجودا لها من حيث هو فقد كمالا فكان ناقصا بذاته و هذا محال. و إن لم يكن كما كان إثباتها له نقصا لأن الزيادة على الكمال نقصان، فكان ايجاده لها مستلزم لنقصانه و هو محال.

الثاني: ما ذهب إليه ابن أبي الحديد المعتزلى من أن الجسم لا يصح منه فعل الأجسام. و هذا هو الدليل الذي عول عليه المتكلمون في أنه تعالى ليس بجسم.

الثالث: انه تعالى شأنه لما خلق لنا المشاعر و نظرنا إلى احتياجنا إليها، عرفنا انه لا مشعر له عزوجل.

المتن: وَ يَتَجْهِيْرِهِ الْجَوَاهِرَ عُرِفَ أَنْ لَا جَوَاهِرَ لَهُ

الشرح: اى بخلقه الجوهر عرف ان لا جواهر له، إما لأنها ممكنته مخلوقة، او للاحتياج إليها في تتحقق الموجود و قيام الأعراض بها. و يجوز أن يكون قوله بتجهيزه الجوهر إشارة إلى جعل الماهيات كما تقدم الكلام فيه.

المتن: وَ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا خِدَّ لَهُ

الشرح: لأنّه لما كان خالق الأضداد فلو كان له ضدّ لكان خالقا لنفسه و لضده. و ذلك محال؛ و لأنّ الضدّ هو الذي لا يعقل ماهية إلا بالقياس إلى غيره. فلا بدّ من وجود الغير حتى يوجد المضاف من حيث هو مضاف فيكون وجود أحد المضافين متلقا بوجود الآخر. فلو كان له سبحانه ضدّ لكان متعلق الوجود بالغير فلم يكن واجب الوجود لذاته و لأنّ الضدين هما الامران الشبوتيان اللذان

يتعاقبان على محل واحد و يمتنع اجتماعهما فيه. فلو كان بينه وبين غيره مضادة لكان محتاجا إلى محل يعاقب الفساد عليه وقد ثبت أنه تعالى عنى في كل شيء.
أقول: وأن أريد بالتضاد معناه العرفيّ أعني الأمرين المتساوين في القوّة المتقابلين في الصفات، لم يكن له خدّ أيضاً بهذا المعنى وإنما لزم أن يكون واحداً مثله و دلائل التوحيد نافية له.
المتن: وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَمْوَارِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِيبٌ لَهُ
الشرح: و برهانه:

اما اولا فلأنه تعالى خالق المقتنان و مبدأ المقارنة بينهما. فلو كان تعالى مقارنا لغيره لكان خالقا لنفسه ولقرنه و ذلك محال.

و اما ثانيا فلأن المقارنة من باب المضاد. و يمتنع أن يلحقه على ما تقدم.
و وجه آخر وهو أنه تعالى قرن بين الجوهر والعرض بمعنى استحالة انفكاك أحدهما عن الآخر، و قرن بين كثير من الأعراض كالإضافات والمعلومات والعلل والأسباب والمسببات. فعلمنا بهذا انه لا قرین له، و الا لاستحلال انفكاكه عنه فكان محتاجاً في تتحقق ذاته إليه.
المتن: خَادَ النُورَ بِالظُلمَةِ

الشرح: في كون النور والظلمة ضدّين خلاف بين العلماء مبني على كون الظلمة امراً وجودياً أو عدمياً؛ والأقرب أنه أمر وجوديٌّ مضادٌ للنور.

و قال بعضهم: إنها عبارة عن عدم الضوء مما من شأنه أن يضيئ. و ليست على هذا القول عدماً صرفاً. فجاز أن يطلق عليها أنها ضد مجازاً.

المتن: وَ الْجَلَالِيَّةِ بِالْبَلَمِ
الشرح: الوضوح بالخفا أو السواد بالبياض كما قيل.

المتن: وَ الْحَسْوَ بِالْبَلَلِ
الشرح: اي: البوسفة بالبرطوبة.

المتن: وَ الصَرَدَ بِالْحَرَرِ
الشرح: الصرد: البارد، سرد: معرّب سرد. و الحرر: الحار.

المتن: مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا
الشرح: اي: في أمزجة المركبات من العناصر الأربع حتى حصل بينها كيفية متوسطة هي المزاج.
المتن: مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا

الشرح: بالموت و الفنا.

المتن: دَلَّةٌ بِتَقْرِيقِهَا عَلَى مُفْرَقِهَا وَ بِتَأْلِيفِهَا عَلَى مُؤْلِفِهَا ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تذَكَّرُونَ

الشرح: لعل الآية شاهد على أنه تعالى لا يتصرف بالمضادة و المفارقة و نحوهما، لما قاله جماعة من المفسرين في معنى الآية من أنه تعالى خلق كل جنس من أنجاس الموجودات نوعين متقابلين و هما زوجان؛ لأن كل واحد منها مزدوج بالآخر، كالذكر بالأنثى و السواد بالبياض و السماء بالأرض و النور بالظلمة و نحو ذلك مما لا يحصى.

فخلقهم كذلك ليذكروا أن لهم موجدا ليس على هذه الصفة.

و قيل: إن الآية دليل على الصانع. و ذكر طائفة أن معنى الزوجين اثنان. و في كل موجود زوجان، كالماهية و الوجود، و الوجوب و الإمكان، و المادة و الصورة، و الجنس و الفصل، إلى غير ذلك. و قال جماعة من المحققين: المراد بالشىء الجنس. و أفل ما يكون تحت الجنس نوعان. فمن كل جنس نوعان كالجوهر، منه: المادي و المجرد؛ و من المادي: الجماد و النامي؛ و من النامي: النبات و المدرك؛ و من المدرك: الصامت و الناطق.

و هذا كله يدل على أنه واحد لا كثرة فيه. فقوله «لَعَلَّكُمْ تذَكَّرُونَ» معناه إنكم تعرفون من اتصف كل مخلوق بصفة التركيب و الزوجية أن خالقها واحد لا يوصف بصفاتها.

المتن: فَعَرَقَ بِهَا بَيْنَ قَبْلٍ وَ بَعْدٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا قَبْلَ لَهُ وَ لَا بَعْدَ

الشرح: أي: فرق بالأشياء بين قبل و بعد، حيث خلق بعضها قبل بعض ليعلم أنه تعالى ليس زمانيا حتى يتصرف بأن له قبل أو بعدا.

و في بعض النسخ: ففرق بها بينها و بين قبل و بعد».

المتن: شَاهِدَةٌ بِغَرَائِهَا أَنْ لَا غَرِيزةٌ لِمُغَرِّزِهَا دَلَّةٌ بِتَقْرِيقِهَا أَنْ لَا تَقَوْاْتٌ لِمُفَاقِتِهَا مُخْبِرَةٌ بِتَوْقِيَّهَا أَنْ لَا وَقْتٌ لِمُوْقِتِهَا حَجَبٌ بَعْضًا عَنْ بَعْضٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا حِجَابٌ بَيْنِهِ وَ بَيْنِهَا غَيْرُهَا

الشرح: أي: أنه تعالى حجب بعضها عن بعض بالحجب الحسية و المعنوية ليعلم أن هذا نقص لا يتصرف به الحال. لكن الحجاب بينه و بين خلقه نقصانهم و كماله. ألا ترى أن الحجاب بين الشمس و الخفاش هو قوة نورها و ضعف بصره؛ فضعف بصره هو الحاجب له عن نور الشمس.

المتن: لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ إِذَا مَرَّبُوبٌ

الشرح: معنى الريوبية القدرة على التربية و التبليغ الى حد الكمال شيئاً فشيئاً بالأغذية البدنية و الأرذاق الروحانية.

و أما التربية بالفعل، فمن توابعها.
المتن: وَ حَقِيقَةُ الْإِلَهِيَّةِ إِذَا مَأْلُوهَا

الشرح: حقيقة الإلهية استحقاق العبادة. و قوله: «إذ لا مأله» معناه لا لحد موجود في القدم متصرف بأن له إله، يعني لا عابد.

المتن: وَ مَعْنَى الْعَالِمِ وَ لَا مَعْلُومٌ وَ مَعْنَى الْخَالِقِ وَ لَا مَخْلُوقٌ
الشرح: لأن معنى الخالق، القادر على الخلق و الأيجاد.

المتن: وَ تَأْوِيلُ السَّمْعِ وَ لَا مَسْمُوعٌ

الشرح: لعل النكتة في إقحام لفظ التأويل أن سمعه تعالى ليس حقيقة بل هو مأول بعلمه بالمسموعات.

المتن: لَيْسَ مُدْخَلَّاً اسْتَحْقَقَ مَعْنَى الْخَالِقِ وَ لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا بِرَأْيِهِ اسْتَفَادَ مَعْنَى الْبَرَائِيَّةِ
الشرح: البرائية بالتشديد بمعنى الخلاقية.

المتن: كَيْفَ وَ لَا تَعْتِيهِ مُدْ

الشرح: اي: كيف لا يستحق هذه الأسماء في الأزل و الحال أن "مد" الذي لا بدء الزمان لا تكون غاية لوجوده فهو ليس بزمني. فالأشياء قبل وجودها و بعد وجودها حاضرة عنده مشاهدة لدى علمه. فقد رته عليها قبل الإيجاد كقدرته عليها بعده.

المتن: وَ لَا تُدْنِيهِ قَدْ

الشرح: لأنها لتقرير الماضي من الحال، و هو سبحانه ليس زمانيا. و قيل: معناه أنه ليس في علمه تفاوت حتى تقريره من الظن الى القطع كما يقال قد صار زيد يعلم الفقه.

المتن: وَ لَا يَحْجُجْهُ لَعَلَّ

الشرح: لأنها لترجمي الأمور المستقبلة الغائبة في الحال؛ أو المراد أنه ليس له شك في امر حتى يقول فيه "لعل"، و من ثم ورد أن عسى و لعل في كلامه تعالى معناهما التحقيق. و إنما ورد التعبير بهما لئلا يطمع الخلاق في ما دخلا عليه.

المتن: وَ لَا تُوقِنَهُ مَتَى

الشرح: لأن يقال متى وجد و ما بعده كالتأكيد له.

المتن: وَ لَا يَشْتَمِلُهُ حِينٌ وَ لَا تُقَارِبُهُ مَعَ

الشرح: بأن يقال كان مع شيء في الأزل أو يكون معه في الأبد حتى الزمان لخروجه عنه. قيل: يمكن تطبيق بعض هذه القرارات على ما قيل انه لخروجه سبحانه عن الزمان كان جميع الزمانيات عنده حاضرة في الأزل كل في وقته. وبذلك وجهوا نفي التخلف مع الحدوث.

المتن: إِنَّمَا تَحْدُدُ الْأَدَوَاتُ أَنفُسَهَا

الشرح: الادوات إشارة الى الآلات البدنية والقوى الجسمانية. و ظاهر انه لا يتعلق ادراها الا بما كان جسماً او جسمانياً على ما علم في موضعه. فمعناه انما تدرك الأجسام والجسمانيات ومثل الشيء هو هو في النوع او الجنس.

ويحتمل ان يدخل في ذلك العقل والفكر لامتناع انفكاكه عن الوهم والخيال حين يوجهه الى المقولات لما بيناه من حاجته اليها في التصوير والتبيح. و كان لا يتعلق الا بمماثل ممكن ولا يحيط الا بما هو في صورة جسم او جسماني.

و كذلك قوله:

المتن: وَ تُشَيرُ الْأَلَةُ إِلَى نَظَائِرِهَا وَ فِي الْأَشْيَاءِ يُوجَدُ أَفْعَالُهَا مَنْعَهَا مُذْقِدِيَّةٌ وَ حَمَّتَهَا قَدْ أَلَّازِلَيَّةٌ لَوْ لَا الْكَلْمَةُ

الشرح: الضمائر المتصلة بالافعال الثلاثة تعود الى الآلات والادوات وهي مفعولات اولى والقدماء والازلية والتكميلة مفعولات ثانية. ومنذ و قد و لولا محلها الرفع بالفاعلية و معنى الكلمة الاولى ان اطلاق لفظة منذ على الآلات والأدوات في مثل قولنا هذه الآلات وجدت منذ كنا يمنع كونها قديمة إذ كان وضعها لابتداء الزمان وكانت لإطلاقها عليه متعينة الإبتداء و لا شيء من القديم بمعني الابداء

فنتيج انه لا شيء من هذه الأدوات بقديم.

و كذلك إطلاق لفظة قد عليها يمنعها من كونها ازلية إذ كانت قد تقييد تقريب الماضي من الحال و إطلاقها عليها كما في قولك قد وجدت هذه الآلة وقت كنا يحكم بقربها من الحال و عدم ازليتها و لا شيء من الأزل يقرب من الحال فلا شيء من هذه الآلات بالأزل.

و كذلك إطلاق لفظة لولا على هذه الأدوات تجنبها التكميلة إذ كان لولا دالاً على امتناع الشيء لوجود غيره. فإطلاقها عليها في مثل قولك عند نظرك الى بعض الآلات المستحسنة والخلقة العجيبة والأذهان المتوقدة: "ما أحسنها و أكملها لولا أن فيها كذا".

فيدلّ بها على امتناع كمالها لوجود نقصان فيها. فهى مانعة لها عن الكمال المطلقاً.
و إنما أشار إلى حدوثها و نقصانها ليؤكّد كونها غير متعلقة بتحديد سبحانه، إذ كان القديم الكامل
أبعد الأشياء عن مناسبة المحدث الناقص.

وقال بعضهم: المراد بالآلات والأدوات أهلها.

قال بعض شرّاح نهج البلاغة: وقد روى برفع اليد و الأزليّة و التكمّلة على الفاعلية أو الضمائر
المتعلقة بالإفعال المتصلة بالأفعال مفعولات أولى و متذ و قد و لولا مفعولات ثانية.
ويكون المعنى أنّ قدمه تعالى و أزليّته و كماله منعت الأدوات و الآلات من إطلاق متذ و قد و
لولا عليه سبحانه لدلائلها على الحدوث و الابتداء المنافيين لقدمه و أزليّته و كماله. و الرواية
الأولى أولى لوجودها في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه.

المتن: افتقرتْ فَدَلَتْ عَلَى مُفْرِقِهَا وَ تَبَيَّنَتْ فَأَغْرَبَتْ عَنْ مُبَيِّنِهَا لَمَّا تَجَلَّ صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ
الشرح: بها تجلّى صانعها للعقل، أي: بوجود هذه الآلات ظهر وجوده تعالى للعقل إذ كان وجودها
مستلزمًا لوجود صانعها بالضرورة و احكامها و اتقانها شاهد بعلمه و حكمته شهادة تضطر العقول
إلى الحكم بها. و يتفاوت ذلك الظهور و التجلى بحسب تفاوت صقال التفوس و جلائها.
فمنها من يراه بعد، و منها من يراه مع، و منها من يراه لا شيء معه، و أولئك
عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولئك هم المهتدون.
المتن: وَ بِهَا احْتَجَبَ عَنِ الرُّؤْيَا
الشرح: اي يايجادها و خلقها بحيث تدرك بحس البصر علم أنه تعالى يمتنع أن يكون مرئياً مثلها.
و بيانه أن تلك الآلات إنما كانت متعلق حس البصر باعتبار أنها ذات وضع و جهة و لون و غيره
من الشرائط الرؤوية.

و لما كانت هذه الأمور ممتنعة في حقه تعالى لاجرم امتنع أن يكون محلاً لنظر العيون.
وقال بعض الأعلام في بيان ذلك انه لما كان بالمشاعر و الحواس التي هي الآلات المشار إليها
اكملت عقولنا و بعقولنا استخرجنا الدليل على انه لا تصح رؤيته؛ فإذاً بخلق هذه الأدوات و
الآلات لنا عرفنا أنه يستحيل أن يعرف بغير العقل.

ويجوز ان يكون الضمير في بها راجع إلى العقول لا إلى الأدوات؛ و المعنى أنه احتجب عن رؤية
العين برؤية العقل؛ كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من قال: أرأيت ربك؟ فقال:
كنت لأعبد ربا لم أره، لم تره العيون بمشاهدة العيان، و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.



و يجوز أن يكون المعنى أن العقول حكمت بعدم جواز الرؤية.

و يؤيد إرجاع الضمير إلى العقول قوله:

المن: وَ إِلَيْهَا تَحَاكِمَ الْأُوهَامُ

الشرح: لأن الأوهام إذا اضطربت ترجع إلى العقول. و العقل هو سلطان البدن، و كل الجوارح و الحواس الظاهرة و الباطنة جنود له ترجع إليه فيما اشتبه عليها كما ورد في حديث هشام و مباحثته مع عمرو بن عبيد البصري.

المن: وَ فِيهَا أَثْبَتَ غَيْرَهُ

يعني أن كلما يرتسם في العقل و يحيط به و يجده فهو غيره تعالى.

و قيل أن غيرا مصدر بمعنى المغايرة؛ يعني: بالعقول تثبت مغایرته تعالى للممکنات.

المن: وَ مِنْهَا أَنْبَطَ [أُنْبَطَ] الدَّلِيلُ

الشرح: أي من العقول استنبط الدليل على وجوده و صفاته.

المن: وَ بِهَا عَرَفَهَا الْإِقْرَارُ وَ بِالْقُولِ يُعْتَقِدُ التَّصْدِيقُ بِاللَّهِ وَ بِالْإِقْرَارِ يَكْمُلُ الْإِيمَانُ بِهِ

الشرح: يجوز أن يكون أكمل من الكمال، فيكون الإقرار جزء الإيمان كما هو أحد المذاهب.

و يجوز أن يكون من الأكمالية، فيكون الإيمان هو التصديق، كما ذهب إليه طائفة من علماء الإسلام و يكون الإقرار أكمل منه لا معه.

المن: وَ لَا دِيَانَةَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةٍ

الشرح: الديانة: التدين بدين الله أي بشرائعه التي أتت بها الأنبياء؛ أو من دان بمعنى أطاع و

عبداي: لا عبادة إلا بعد المعرفة.

المن: وَ لَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِالْخَلَاصِ

الشرح: وهو تنزيهه تعالى عمما لا يليق به من عوارض الجسمانيات.

المن: وَ لَا إِخْلَاصَ مَعَ التَّشْبِيهِ وَ لَا نَفْيَ مَعَ إِثْبَاتِ الصَّفَاتِ لِلتَّشْبِيهِ

الشرح: كما في التوحيد و كثير من نسخ هذا الكتاب متطرق بالنفي أي: لا نفي للتشبيه مع إثبات الصفات الزائدة له تعالى. و في بعض النسخ: بالتشبيه. و معناه أنه لا نفي للغير عن الله تعالى مع القول بالتشبيه.

المن: فَكُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ لَا يُوجَدُ فِي خَالقِهِ وَ كُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ، لَا تَجْرِي عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ وَ السُّكُونُ، وَ كَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ

الشرح: اي: إنَّ الحركة و السكون من آثاره و مخلوقاته في الأجسام؛ فكيف يكونان من صفاته تعالى؟

المتن: أَوْ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ ابْنَادُهُ إِذَا لَقَوْتَ ذَاهِهً

الشرح: اي: تغيرت يطريان الحركة عليها تارة و السكون أخرى، لأنهما من الحوادث المتغيرة، فيكون تعالى تمايزهما محلًا للحوادث والتغيرات، فيكون ممكناً. هذا خلف.

المتن: وَ لَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ

الشرح: لأنهما من عوارض الجسم، و كل جسم مركب قابل للتجزئة.

المتن: وَ لَمْ تَمْتَنِعْ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ

الشرح: لأنهما من خواص الأجسام الحادثة، فيكون الموصوف بهما حادثاً.

المتن: وَ لَمَّا كَانَ لِلْبَارِي مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى الْمَبْرُوعِ وَ لَوْ وَجَدَ لَهُ وَرَاءً إِذَا وَجَدَ لَهُ أَمَامًّا

الشرح: لأنهما لو جريا عليه لكان له وراء يتحرّك عنه فيلزم أن يكون له أمام يتحرّك إليه، لأنهما إضافيان، لا ينفك أحدهما عن الآخر. و هو محال، لأن كل ذي وجهين فهو منقسم.

المتن: وَ لَوْ أَتُمِسَّ لَهُ التَّمَامُ إِذَا لَزَمَهُ النُّقْصَانُ

الشرح: لأن جريان الحركة عليه مستلزم لتوجهه بها إلى غاية، إما جلب نفع أو دفع مضرّة، لأنّه لازم لحركات العقلاء. فهما كمال مطلوب له، و بدونهما هو ناقص.

المتن: كَيْفَ يَسْتَحِقُ الْأَزَلُ مَنْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْحُدُوثِ وَ كَيْفَ يُنْشَئُ الْأَشْيَاءَ مَنْ يَمْتَنِعُ مِنَ الْإِنْسَاءِ وَ إِذَا لَقَمَتْ فِيهِ أَيْةٌ الْمَصْنُوعِ

الشرح: لأنه حينئذ يكون قادراً على الحركة و السكون، فقدرته عليهما ليست من خلقه، و إلا لافتقر إيجاده لها إلى قدرة أخرى. و يلزم ————— فهى إذن من غيره، فيكون مفتقاً في كماله إلى غيره فيكون مصنوعاً.

المتن: وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ مَا كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ

الشرح: لأنه حينئذ يكون مصنوعاً، و كل مصنوع يكون دليلاً على صانعه.

المتن: لَيْسَ فِي مَجَالِ الْقُولِ حُجَّةٌ وَ لَا فِي الْمَسَالَةِ عَنْهُ جَوَابٌ

الشرح: اي: إنَّ هذا القول المحال و هو اتصافه تعالى بلوازم الإمكان من الحركة و غيرها لا حجة فيه و لا دلالة على مصنوعيته تعالى، لأنَّ عروضها له محال، و الإستدلال بالمحال محال.

سؤالاً باطلاً.

المتن: وَلَا فِي مَعْنَاهُ لِلَّهِ تَعَظِيمٌ

الشرح: اي: ليس في إثبات معانى تلك الصفات الحادثة تعظيم له تعالى.

المتن: وَلَا فِي إِبَانَتِهِ عَنِ الْخَلْقِ ضَيْمٌ إِلَّا بِامْتِنَاعِ الْأَزْلَىٰ أَنْ يُثْنَىٰ وَلِمَا لَا بَدُؤُهُ أَنْ يُبْتَدَأُ

الشرح: ليس في إبانته تعالى عن الخلق ضيـم، اي نقص و عيب إلا بامتناع الإثنيـنـية على الأـزلـىـ لأنـهـ لو اتصفـ بتلكـ الصـفـاتـ الزـايـدةـ،ـ لـكانـ القـديـمـ مـتـعدـداـ أـعـنـىـ الذـاتـ وـ الصـفـاتـ؛ـ وـ الـآخـرـ انـ اللهـ سـبـحانـهـ الـذـىـ لـاـ اـبـتـداءـ لـهـ يـلـزـمـ انـ يـكـونـ لـهـ اـبـتـداءـ عـلـىـ تـلـكـ التـقـادـيرـ.ـ وـ هـذـاـ لـيـسـ بـعـيـبـ،ـ فـيـكـونـ مـنـ بـابـ وـ لـاـ عـيـبـ فـيـهـمـ.

المتن: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. كَذَبَ الْعَادِلُونَ وَ خَسِرُوا خُسْرَانًا مُّبِينًا وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.